13

وجهات نظر نسائية في تطوير الموهبة

مفهوم موهبة النساء القائم على البحث

سالي ريز Sally M. Reis

«يفقد مجتمعنا الكثير من المواهب لمجرد أن الموهبة ترتدي فستاناً» – شيرلي شيسلوم، أول أمريكية إفريقية تنتخب عضواً في الكونغرس.

نادرًا ما يتداول الناس حكايات النساء الموهوبات الشهيرات، كما لا توجد أبحاث كثيرة تتناول كيفية ظهور الموهبة عندهن، واختلافها عن الموهبة لدى الرجال، والخيارات التي يتخذنها لتطوير مواهبهن ونبوغهن. لقد أوجدت الحركة السياسية والاجتماعية التي تعنى بالنساء خلال نصف القرن الماضي فهماً متزايداً للموهبة النسائية والدور الذي تلعبه النساء الموهوبات في مجتمعنا، والقوى التي شكلت هذه الأدوار. لقد درست طوال عشرين عامًا الفتيات والنساء الموهوبات في جميع المجالات، وقد أجبت عن بعض الأسئلة، لكني طرحت أسئلة أكثر منها (Reis, 1987; 2001). وقد جاء تعريف هذه المجموعة على أنها متفوقة أو نابغة بدلاً من موهوبة نظرًا لأن معظمهن يفضلن هذا الوصف. وقد توصلت من خلال هذه الخبرات الدراسية الجماعية إلى تعريف للنبوغ عند النساء يمكن إجماله في الآتي: «يحدث النبوغ عندما تحقق النساء، اللواتي يتمتعن بالقدرات الفكرية والإبداعية والفنية والقيادية، مستوى عاليًا من الانجاز في أي مجال يرتدنه، وعندما يقدمن مساهمات يرين أنها مفيدة للمجتمع. وتعزز هذه المساهمات عندما تقيم النساء علاقات مُرضية ذاتياً، ويتابعن ما يعتقدن أنه عمل مهم يؤدي إلى جعل هذا العالم أكثر صحة وجمالاً وسلاماً، يُحتفى فيه بالصور الإنسانية والفنية المتنوعة. وتبرز الدراسات التي راجعناها في هذا الفصل الخيارات الصعبة التي تقدم عليها الفتيات والنساء المتفوقات، والاعتقاد بعمق تأثير نتاجات هذه الخيارات في حياة النساء الشخصية بصورة خاصة، وفي المجتمع بصورة عامة.

وتوجد فجوة كبيرة في تسجيل إسهامات النساء في التاريخ، مما يدفع كل جيل من أجيال النساء إلى إعادة اكتشاف أفكارهن ووعيهن النسائي الجمعي. وتعتقد المؤرخة جيردا ليرنر (Gerda Lerner, 1993) أن الموهبة عند النساء قد ساعدتهن على مر العصور في تحدي القيود الأبوية، والأدوات المحددة للنوع الاجتماعي (الجندر)، بالإضافة إلى حملات تثبيط الهمم المتواصلة التي يتعرضن لها.

كما تعتقد أيضاً أن الطمأنينة والهدوء الداخليين اللّذين يرافقان الموهبة الناشئة قد مكنتا بعض النساء من الانجاز بمستويات عالية. لكن كل هذا لم يمنع من عزلتهن الاجتماعية ووحدتهن وسخرية معاصريهن.

وبغض النظر عن المؤشر المستخدم، فإن عدد النساء، اللواتي يبلغن مستويات انجاز عالية تكفي لتصنيفهن في فئة الموهوبات، أقل من عدد الرجال.

وإذا أخذنا في الحسبان عدد الكتب المنشورة والمناصب القيادية وبراءات الاختراع الممنوحة، أو الجوائز، فإن عدد النساء المصنفات موهوبات أقل بكثير من عدد الرجال. كما أن عدد النساء اللواتي يتبعن هذا النوع والمستوى من العمل الإبداعي قليل أيضاً. فعلى سبيل المثال، ينشر أساتذة الجامعات أعمالاً إبداعية في مجالات الدراسات أكثر من نظرائهم من النساء، كما أن الرجال ينتجون أعمالاً أكثر في مجال الفنون، ويسهمون بصورة أكبر في المجالات المهنية كلها (Callahan, 1979; Dchse, 1991; Pirte, 1991; Reis, 1987, 1998).

وكما أشار كالاهان (1979)، فإن الرجال ما زالوا يؤلفون كتبا أكثر، ويفوزون بجوائز أكثر من النساء. فعلى سبيل المثال، حمل غلاف مجلة «American Psychologist» في عدد أيلول 2003، أسماء أكثر من ثلاثين من الفائزين بجائزة نوبل في مجالات متعددة جميعهم من الرجال.

وسوف نعرض في هذا الفصل بعض الأسباب المعقدة لقلة عدد النساء النابغات اللواتي يصلن إلى هذا المستوى من الشهرة، كما سوف نتطرق إلى ميزات هؤلاء النساء.

فروق دقيقة تتعلق بتطور الموهبة الأنثوية

هناك مسألة تشكل الأساس لمفاهيم الموهبة والنبوغ، تشمل المفاهيم المجتمعية لمعنى الموهبة ولمن يملك حق تقرير كيفية استخدام المواهب. كانت صديقتي الحميمة في طفولتي تلميذة لامعة في العلوم والرياضيات تعيش في شقة متواضعة في الطابق الثاني من البناية الكائنة في المدينة الصناعية التي ترعرعنا فيها.

كان والدها يعمل بائعًا، بينما كانت والدتها ربة بيت تعتني بصديقتي وأخواتها الأربع. كانت الأم خريجة إحدى جامعات البنات المرموقة في الساحل الشرقي، وكانت قارئة نهمة لكتب الفلسفة والعلوم والشعر والروايات، وعندما كان أصدقاؤنا يزورونها في شقتها، كانت تدخل معنا في نقاشات رائعة عن بعض التخصصات التي درسناها في الجامعة في مرحلة لاحقة. وكنت طوال هذه السنوات أفكر في أم صديقتي، وتعجبت لمدى رضاها وسعادتها بحياتها، ولماذا لم تجد عملاً تستخدم فيه قدرتها الفكرية العالية، وماذا كانت ستصبح لو أنه قدر لها أن تولد بعد عدة عقود. بعد الانتهاء من دراستي الجامعية، رجعت إلى بلدتي لتعليم الانجليزية، وكنت كثيرًا ما أرى أم صديقتي في المكتبة العامة. وقد استأنفنا حواراتنا، فأدركت أنها تشعر بسعادة لاختيارها تربية أطفالها ومواصلة التعلم بشغف طوال الحياة. أما صديقتي فأصبحت عالمة، وكانت إحدى النساء القلائل في جامعتها التي حصلت على

شهادة الدكتوراه. وقد أخبرتني أن والدتها كانت أهم مصادر دعمها، كما أن أخواتها أنهين دراستهن ويعشن حياة ناجحة.

قد يعتقد البعض أن الموهبة الفكرية العالية لهذه الأم قد تبددت بسبب فشلها في الحصول على شهادة عليا أو مهنة مرموقة. وقد يعتقد آخرون أنها قد أحسنت استخدام موهبتها لأنها تولت تربية أطفال قدّموا مساهمات ايجابية للعالم. فهل كانت هذه الحالة مؤشرًا على حدوث تغيّر في التوقعات المتعلقة بكيفية استخدام المرأة الموهوبة لقدراتها في العقود الأخيرة؟

تشير البيانات التي جمعها الباحثون إلى أن كثيرًا من النساء الموهوبات اللواتي يحملن شهادات عليا يقررن عدم الزواج لمتابعة موهبتهن، إلا أن هذا الرقم تضاءل في العقود الأخيرة. فعلى سبيل المثال، كان 75% من مجموع النساء اللواتي حصلن على شهادة الدكتوراه في الفترة من 1877 ـ 1924 غير متزوجات (Hutchinson, 1930).

ومع أن مارغريت سانجر، الممرضة الشهيرة التي وضعت قواعد تنظيم النسل، (Margaret Sanger, 1879–1966) ومارغريت ميد (Margaret Mead, 1901–1978) عالمة الأنثروبولوجيا، تزوجتا، إلا أنهما طلّقتا مبكرًا وعاشتا أكثر سنوات عمريهما إنتاجية دون زواج، مثلما فعلت ماري كوري Marie Curie التي توفي زوجها بعد 11 عاماً من زواجهما. أما مارغريت بيرك وايت، فتزوجت مرتين لفترة قصيرة، ومكنها طلاقها مرتين من تكريس وقتها للتصوير الفوتوغرافي. وهناك نساء أخريات ممن سلكن طريقاً مغايراً، مثل ميلفا ماريك Mileva Maric، زوجة آينشتاين الأولى التي ضحت بمهنتها في الفيزياء لمساعدة زوجها في عمله، وتولت تربية أطفالها، والمحافظة على حياتها العائلية. لكن تلك التضحية لم تكن كافية للحفاظ على ذلك الزواج الذي انتهى بالطلاق (Gabor, 1995) أما لي كراسنر Lee Krasner، زوجة جاكسون بولوك Jackson Pollock الرسام التجريدي الشهير، فضحّت بإنتاجها الفني للمساعدة في الحفاظ على حياتها العائلية ولمساعدته في التخلص من الاكتئاب والإدمان على الكحول وزيادة إنتاجيته على حساب إنتاجيتها. ومع أن ميلفا ماريك لم تستعد وظيفتها، إلا أن لي كراسنر كانت قادرة على استخدام موهبتها وتصميمها لتحقيق الشهرة في أواخر حياتها، بالرغم من أن علاقتها مع بولدك كلفتها ثمنًا باهظاً. لقد دفع الزواج بعض هؤلاء النساء إلى التضحية بموهبتهن لحساب تطوير النبوغ الذكوري في عائلاتهن. وبالنسبة لأخريات ممن أخذن على أنفسهن مثل هذه الالتزامات، فقد انصب اهتمامهن على أمور عائلية غير الزواج. فقد كرست ميليسنت أديلي، الشقيقة الكبرى للعالم الإنجليزي وابن عم داروين، فرانسيس غالتون Francis Galton، جزءًا كبيراً من سنواتها التشكيلية لرعاية أخيها العبقري. كما أمضت والدة توماس أديسون نحو عقدين من عمرها في تربية ابنها اللامع وتدريسه. فهل يمكن، والحالة هذه، أن نعدّ النساء الذكيات والموهوبات اللواتي يمتلكن مستويات عالية من القدرات الكامنة، ويتخذن مساراً خاصاً للعناية بمواهب الآخرين، متدنيات التحصيل؟ وهل كانت والدة صديقتي اللامعة متدنية التحصيل أيضاً؟ أم إن الجواب عن هذا السؤال يعتمد على الفترة الزمنية من حياة الشخص موضوع الدراسة؟

سيرة حياة موجزة لنساء موهوبات

مثل اسطوانة مشروخة، أبلغتني عدة نساء موهوبات من اللواتي لم يحققن مستويات عالية من النجاح القصة المعادة نفسها (Reis, 1995, 1998). والقصة هي أنهن كنّ طالبات متميزات جداً في المدرسة، ولكنهن عندما كبرن أخذن يشعرن بالازدواجية والتضارب والحيرة تجاه مستقبلهن ومسؤولياتهن تجاه من يحببن. لقد تلاشت أحلامهن بوظائف مستقبلية كبيرة وأعمال مهمة، ومن ثم بدأ الشك يساورهن في ما كنّ يعتقدن أنهن قادرات على انجازه. لقد تقوض إيمانهن بقدرتهن وإيمانهن بأنفسهن وهن ما زلن في فترة الطفولة والمراهقة. لقد اكتسبت هؤلاء النساء شيئًا مما يسمى «التواضع الأنثوي» مما أثر بدوره في تحقيقهن لقدراتهن، فبعضهن وقع في حب طالب جامعي، وفجأة أصبحت أحلامهن بفتى الأحلام أكثر أهمية لهن من أحلامهن الخاصة، ثم تقلصت أحلامهن إلى متابعة علاقة عاطفية.

قرر بعضهن أن يصبحن ممرضات بدلاً من طبيبات، وبعضهن اكتفين بشهادة البكالوريوس بدلاً من الدكتوراه، وأخريات قبلن بعمل متواضع يختلف كثيرًا عما كنّ يحلمن به قبل عقد مضى، إلا أن ذلك وفّر لهن الوقت الكافي لتربية أطفالهن ومساندة عمل أزواجهن. لكن هؤلاء النساء الموهوبات، اللواتي ولدن بعد الحركة النسائية، صدمن لاكتشافهن أنه يجب عليهن اتخاذ خيارات تعود بالنفع على من يحببن. وبعدما كان يقال لهن باستمرار أن باستطاعتهن عمل أي شيء، اكتشفن فجأة أنهن لا يستطعن فعل ذلك. كان الأمر يبدو كما لو أنه قيل لهن أنه لا يوجد أشرار في طريق رحلتهن إلى النجاح، وعندما واجهن أول عقبة لم يعرفن ببساطة ما الذي يجب عليهن أن يفعلن. إن سيرة الحياة المختصرة هذه لا تقدم وصفًا للنساء الموهوبات جميعهن. صحيح أن بعضهن يصلن إلى أعلى مستويات الانجاز، لكن عددهن يظل أقل من عدد الرجال، وهذا ما يثير أكثر الأسئلة صعوبة: لماذا لا توجد إلا إعداد قليلة من المبدعات والمخترعات؟ (Ochse, 1991, Pirto, 1991) ولأن معظم الأبحاث التي تناولت المستويات العليا للإنتاجية تركزت على الرجال، فليس هناك أجوبة سهلة لهذه الأسئلة، لكننا سوف نناقش في هذا الفصل بعض الأسباب التي أشرنا إليها، ويشمل الجزء الآتي حالة لإحدى النساء المشاركات في هذا البحث. (Diamon, 1986; Lindauer, 1992; Cleish, 1976; Oden, 1968› Schneidman, 1989; Cears، 1977; Simonton, 1975, 1989)

فروق التحصيل بين النساء والرجال

تختلف الأسباب التي تجعل النساء أقل انجازاً عن تلك التي تؤثر في نظرائهن الرجال. فالأحداث الحياتية، وخاصة العلاقات مع الأزواج والأحباء والأطفال لها أثر ضاغط على أي قرار قد تتخذه المرأة لتطوير موهبتها إلى أعلى المستويات (Rei, 1998). وكما أوضحنا، فإن الرجال ما زالوا يتفوقون على النساء في أعلى مستويات الانجازات المهنية والإبداعية.

(Arnold & Denny, 1985; Sallahan, 1979; Hollinger & Fleming, 1988; Kerr, 1985; Ochse, 1991; Pirto, 1991; Reis, 1987, 1995; Subotinle & Arnold, 1995)

يضاف إلى ذلك أن النجاح في مجتمعنا يحدد أساساً بمعايير ذكورية، مثل المركز الوظيفي، ومخرجات العمل الإنتاجي، والامتيازات المالية والشهرة، والأهمية. ولهذا، فإن هذه المؤشرات ليست مناسبة لتحديد الانجازات الخاصة ببعض النساء الموهوبات اللواتي يرين أن النجاح يعني التأثير بصورة ايجابية في هذا العالم، وإحداث التغيير الذي يفيد الآخرين ويحسن حياتهم، أو صحة الكرة الأرضية، وعيش حياة ملتزمة بنظام من القيم قائم على النزاهة والأمانة والتراحم.

ولا يعني هذا بالضرورة أن الرجال الناجحين يتجنبون هذه القيم، كما لا يعني أيضًا أن كل النساء اللواتي يفشلن في هذه المجالات لا يندمن على الفرص الضائعة.

وفي الواقع أن بعض النساء الموهوبات يشعرن بخسارة فادحة عندما يتذكرن ضياع فرصة إتمام عمل ربما كان له تأثير ايجابي على العالم. ويعتقد بعضهن أنه كان بمقدورهن أن يصبحن مخترعات ومؤلفات موسيقى وسياسيات، وأن يحققن أعلى المستويات من التحصيل. ومع أنهن يعرفن أسباب سير حياتهن باتجاه معين، غالباً بسبب من يحببن، إلا أنهن ينظرن إلى الماضي بأسف على «ما كان يمكن أن يكون ولم يكن» مع أنهن عشن حياتهن بكرامة ونزاهة في خدمة الآخرين (Reis, 1995).

إن كثيراً من مقاييس النجاح المستخدمة في تعريف الإنجاز في مجتمعنا تعتمد مؤشرات ذكورية، بالإضافة إلى أن الرجال، وخصوصاً الرجل الأبيض، هم الذين وضعوا مفاهيم الموهبة والنبوغ المعتمدة في مجالات علم النفس وعلم النفس التربوي المعاصرين (Sternberg & Davidson). كما أنهم هم الذين طوروا المفاهيم الماضية والحالية للذكاء، ومعظم أدوات القياس المستخدمة في الذكاء العام. ولم يحدث إلا في الفترة الأخيرة أن أخذت أعمال المنظّرين المتنوعين ثقافياً تؤثر في المفاهيم الحالية في الموهبة والذكاء، لكنها لم تبلغ بعد حد تغيير المعتقدات والمفاهيم السائدة. ويلخص هذا الفصل في دراستي الحالية النظرة الأنثوية لتطور الموهبة والنبوغ، إضافة إلى تفاعلات الحواجز الشخصية والخارجية التي تؤثر في هذا التطور.

نموذج لتحقيق الموهبة عند النساء

لفهم جوانب تحقيق الموهبة عند النساء، أجريت دراسة شملت حياة 22 امرأة أمريكية حققن شهرة في ميادين مختلفة، واستخدمت منحى دراسة الحالة الذي أقترحه (Gruber, 1986). وقد استقصيت انطباعات تلك النسوة في عملهن باستخدام الاستبانات والمقابلات المكثفة ومراجعة الوثائق. كما استخدمت مصادر البيانات الرئيسة لتوثيق انجازاتهن، بما في ذلك، الكتب والمسرحيات والمذكرات والنجاحات البيئية، والأقراص المدمجة، بالإضافة إلى المقابلات التي أجريت معهن، أو

المقالات التي كتبت عنهن. لقد كانت كل واحدة من هن مساهماً رئيساً في مجالها، وحققت كثيرات منهن النبوغ لأنها كانت الأولى، أو إحدى النساء الأوائل، في مجالها. وبمعنى آخر، لقد كانت تلك النساء جميعهن متميزات ومتفوقات، وكان بعضهن رائدات أمريكيات في المسرح والسياسة والحقل الأكاديمي والأدب والشعر والعلوم والتأليف الموسيقي والعمل الحكومي وإدارة الأعمال وعلوم البيئة والفنون والتربية وميادين أخرى. وطوال عشر سنوات من البحث في هذا المجال، ظهر لي تصور أولي لتحقيق الموهبة عند النساء، وهذا ما سنناقشه بتفصيل أكثر في هذا الفصل. وتشمل العوامل التي تسهم في هذا النموذج كلا من: القدرات (الذكاء والموهبة الخاصة)، وسمات العوامل الشخصية والعوامل البيئية والمفاهيم الشخصية، مثل الأهمية الاجتماعية، التي يستخدمها المرء لإحداث تغيّر ايجابي في العالم.

وتسهم كل هذه العوامل في ما سماه غروبر «الحشد الذاتي» Self-Mobilization الذي تمثل عند هؤلاء النساء في تطوير الاعتداد بالنفس والرغبة العارمة لتطوير هذه المواهب، والإيمان بالقدر والمصير عند النساء اللواتي اتخذن قراراً واعياً لتطوير موهبتهن حتى في غياب الدعم الكافي وفي وجه عراقيل كثيرة.

لقد تطورت موهبة هؤلاء النساء البارزات على مدى سنوات عديدة، وتعززت باستخدام مختلف أنواع الخبرات الحياتية التي شكلت ركيزة قوية للانطلاق نحو الانجازات المستقبلية. وقد أوضحت المشاركات في هذه الدراسة أن بعض هذه الخبرات فقط كانت مستمدة من الحياة الأكاديمية، لكنهن تعلمن الكثير من الحياة بعد إنهاء دراستهن. فعلى سبيل المثال، كان على إحدى الفائزات بجائزة كتب الأطفال أن تنتظر حتى كبر أطفالها، ومن ثم بدأت الكتابة ناسجة أعمالها الأدبية باستخدام موروث ثقافتها الإسبانية، والبصيرة التي اكتسبتها من ممارسة دور الأم.

وقد نسبت عضو في الكونغرس الفضل في نجاحها في مجلس النواب إلى مهاراتها في التنظيم التي تعلمتها من خلال مجموعات العمل في المجتمع المحلي، مثل رابطة الآباء/المعلمين، ومن النشاط السياسي المحلي، أكثر مما تعلمته من الشهادة التي حصلت عليها قبل عقود من جامعة بنات مرموقة. وقد ساعدها مكتب التوظيف في جامعتها كثيراً في إدراك مؤهلاتها لاستخدامها في حملتها للترشيح لعضوية الكونغرس. ومن النتائج المثيرة التي توصلت إليها هذه الباحثة ما يتعلق بمعرفة الذات التي اكتسبتها النساء لتحديد شدة الرغبة في متابعة مواهبهن بطريقة نشطة. وقارنت كثيرات منهن أنفسهن بنساء موهوبات معاصرات من اللواتي عشن حياة سعيدة وادعة.

وتوصلت الباحثة إلى نتيجة أخرى هي تنوع المواهب بين غالبية النساء. وقد استشهد إشعيا برلين في مقالة كتبها في عام 1953 بعنوان «القنفذ والثعلب» The Hedgehog and the Fox بقول الشاعر الإغريقي آرخيلوخوس: «الثعلب يعرف أشياء كثيرة، لكن القنفذ يعرف سراً كبيراً»[1].

1. نظرية القنفذ: التعقيد والأفضلية. في أي نشاط عقلي من أي نوع، هناك مستوى معتدل من التحدي الممتع، وإذا ما حدث تغيّر كبير في هذا النشاط وبسرعة ، فإن الأمر لا يكون ممتعًا، فنحن نسعى إلى تجربة أشياء تقع بين الفوضى من جهة، وبين الملل من جهة أخرى. وقد طرحت هذه الفكرة لأول مرة في عام 1957، لكن إدوارد ووكر طوّرها إلى نظرية سلوك

وقد استعرضت الباحثة أنواع المدارس الفكرية، وقسمت كبار المفكرين الغربيين إلى معسكرين هما القنافذ والثعالب. وبناء على هذا التقسيم، وجدت أن عدداً قليلاً من عينة الدراسة كان من القنافذ، وكذلك الحال مع تنوع قدراتهن. وربما يكون هذا هو أحد الأسباب لعدم حصول بعض النساء البارزات على جائزة نوبل، أو لعدم شهرتهن خارج إطار ميادينهن.

ويظهر الشكل 1: 13 السمات المشتركة التي تميز هؤلاء النساء البارزات، وخصوصاً ما يتعلق منها بمفهوم الذات والشخصيات والخبرات. وقد أخذ معظمهن قراراً واعياً قوياً لرعاية مواهبهن وتطويرها. وقد ساعد كل عامل من العوامل المبينة في الشكل النساء على الإيمان بقدراتهن ومواصلة تطوير مواهبهن من أجل الإسهام في التغييرات الايجابية في العالم.

القدرات

وصفت بعض النساء أنفسهن بأنهن كن بمستوى فوق العادي، ولم يكنّ طالبات متفوقات في المدرسة، مع أنهن، باستثناء عدد قليل، اعترفن بامتلاكهن بعض المواهب الخاصة في مجالات الموسيقى والكتابة والخطابة والمناظرة والمسرح. وقد نافش رنزولي (Renzulli, 1978) في نموذج الحلقات الثلاث الاختلاف بين ما يطلق عليه القدرات فوق العادية وبين القدرات المتفوقة في الموهبة.

(Walker, 1980) ويرتبط اسم النظرية بقول للشاعر الإغريقي آرخيلوخوس: «الثعلب يعرف أشياء كثيرة، لكن القنفذ يعرف سرًا كبيرًا». ويعرف الثعلب بأنه واسع الحيلة في التعامل مع أوضاع مختلفة، أما القنفذ فيعرف حيلة واحدة وهي الانكماش على صورة كرة وهو يستخدمها في الحالات التي يتعرض فيها للخطر، وهي حيلة فعّالة. فله وضع واحد. ولهذا فالنظرية في هذا السياق لها حيلة واحدة، مثل القنفذ، وهي تفسير السلوك باستخدام مبدأ واحد هو: التعقيد الذاتي يقرر الأفضلية.– المترجم

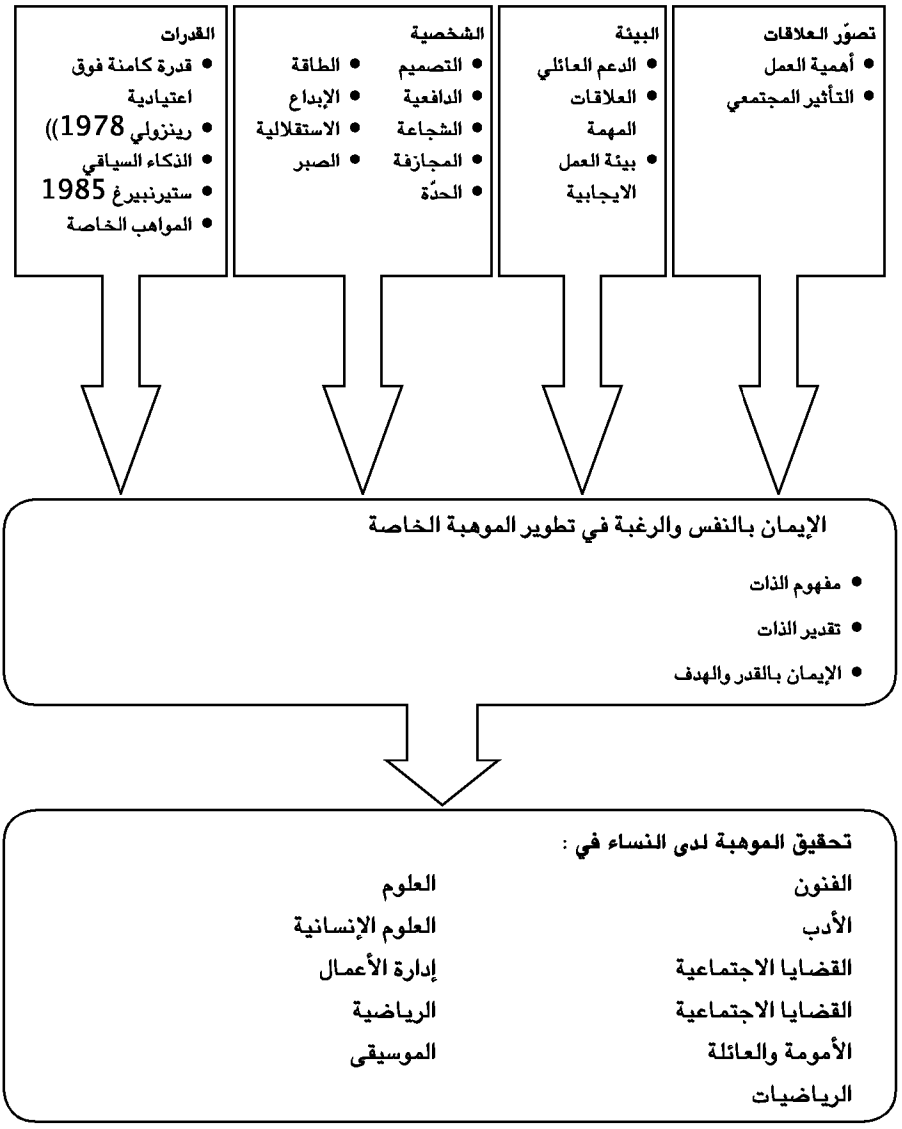

شكل 1: 13 نموذج تحقيق الموهبة لدى النساء

وفي عام 1986، ميّز بين الموهبة المستندة إلى البيت/ المدرسة، وبين الموهبة الإبداعية / الإنتاجية. وتوصل إلى نتيجة هي أنه بالرغم من أهمية هذين النوعين من الموهبة، إلا أن الأشخاص الذين يقدمون إسهامات «موهوبة» في أحد ميادين النشاط الإنساني هم غالباً من يتمتعون بالموهبة الإبداعية / الإنتاجية. ولم تكن هؤلاء النساء الطالبات الأفضل دائمًا، ولكن كل واحدة منهن أظهرت سلوكات إبداعية وإنتاجية في مجالاتهن عندما بلغن مرحلة الرشد. وقد امتزجت قدراتهن واهتماماتهن وإبداعاتهن ودافعيّتهن في كل الأحوال ليتمكنّ من تطوير قدراتهن. وكان بعضهن يظهرن الذكاء

السياقي الذي تحدث عنه ستيرنبيرغ (1985 ـ 1986)، وكن يضطررن إما إلى التكيف مع بيئتهن، أو يغيرنها أو يتركنها ليتمكنّ من تحقيق مواهبهن وتطويرها.

وقد تزوجت إحدى المشاركات في الدراسة الدكتورة فرانسيليا بتلر رجلاً أحبته بعنف. وكان هذا الزوج، وهو رئيس تحرير جريدة معروفة، لا يتوقف عن الاستخفاف بقدراتها. ولكنه عندما مرض وأصبح طريح الفراش، اعتذر لها لأنه لم يُعترف بمواهبها وقدراتها. وبعد موته، الذي وصفته بأنه أتعس يوم في حياتها، تخلت عن كل شيء وتركت بيتها وارتحلت مع ابنها الصغير إلى بريطانيا للحصول على الدكتوراه، ثم حققت بعد ذلك تفوقًا كبيرًا في مجال تخصصها في أدب الأطفال.

السمات الشخصية

لقد تباينت السمات الشخصية لهؤلاء النساء إلى درجة كبيرة، ومع ذلك كانت بينهن سمات مشتركة، مثل الإصرار والعزيمة، والدافعية أو الإبداع، والصبر، والقدرة على المخاطرة. وقد أظهرت كل واحدة التصميم على صورة قدرة السعي وراء النجاح والمواظبة في ظروف صعبة، وأحياناً دونما حب أو مساعدة من عائلتها و/أو شريك حياتها. وقدمت كل واحدة منهنّ تفسيراً مختلفاً لمصدر تصميمها، حيث قالت إحداهن أن هذا التصميم جاء من نمذجة الدور الإيجابي للوالدين اللّذين كانا يطالبانها بعادات عمل عالية المستوى. وقالت عضو الكونغرس إنها استمدت أخلاقيات عملها مباشرة من والديها، اللّذين لم يكونا يقبلان منها إلا أقصى ما تستطيع من جهد. وأوضحت نساء أخريات أنهن استمددن دافعيّتهن وتصميمهن وفلسفة العمل من إدراكهن للهدف القوي الذي كان عليهن تحقيقه في حياتهن، مثل حماية البيئة، أو التأليف الموسيقي، أو توفير التدريب والخبرات اللازمة للشباب الفقراء. إلا أن بعضهن قلن إن دافعيّتهن جاءت من رغبتهن في أن يكن منتجات وأن يشاركن في تغيير العالم، ومن مجرد متعة العمل الإبداعي.

وقالت مشاركة فنانة: «إن عملية ممارسة الفن غالبًا ما تكون بالنسبة لي مهمة أكثر من المنتج وذلك نظرًا لشعوري بأن عليّ أن اعبّر عن شيء في داخلي. كما أن اللحام وتوصيل المعادن ببعضها بعضًا، أمر مهم جدًا بالنسبة لي. إن العاطفة التي أحس بها، وعنف تشكيل شيء وأنت ترى الشرارات تتطاير في كل مكان .... يمنحني شعوراً لا أستطيع وصفه. إنه شعور غامر .... الشعور بالقوة .... ربما».

وقد أظهرت كل واحدة منهن صورة من صور الإبداع مستمدة من حب العمل، والهوايات والاهتمامات، ومن طريقة توفير الوقت لجوانب الحياة الضرورية الأخرى، مثل العلاقات الاجتماعية والعائلية. وقد تداخل حجم العمل الذي يقمن به، والتطور المتواصل إلى إشكال الموهبة المتقدمة، مع ما يمكن أن نسميه «الإبداع المتعلّم»، وكذلك مع الحب الشديد للعمل. كما تحلين بالصبر حيث انتظرت بعضهن سنين طويلة في انتظار الفرصة لتكريس جزء من وقتها لموهبتها، بينما واصلت أخريات العمل دون توقف طوال حياتهن. فعضو الكونغرس انتظرت إلى أن التحقت أختها الصغرى بالجامعة، قبل أن تخوض المعركة النيابية، كما أن عالمة البيئة ظلت تعمل في مجالها لنصف قرن، بالرغم من

رفض توظيفها في البداية لأنها «أنثى». وإضافة إلى الصبر الذي أظهرته كل امرأة من هؤلاء النساء في تطوير موهبتها، إلا أنهن تميزن بالرغبة في المخاطرة، وأقدمن على مهمات لا تملك النساء الأخريات الشجاعة للقيام بها.

وهناك سمة شخصية مشتركة لدى كل واحدة من هؤلاء النساء وهي الاندفاع نحو العمل متحليات بالطاقة والاهتمام الحقيقي والاستمتاع. وكان بعضهن يُبدين حماساً ظاهراً، بينما كانت الأخريات هادئات إلى درجة كبيرة. كان بعضهن يضحكن كثيرًا ويتحركن باستمرار، بينما كانت الأخريات يبقين ساكنات، وهادئات، وخجولات، وربما انطوائيات.

بيد أن كل واحدة منهن كانت تظهر تركيزًا شديدًا على عملها وحبًا قويًا له، لدرجة أن كثيرات منهن قلن إنهن كن يشعرن بالذنب لأنهن لا يكرسن وقتاً كافياً لأطفالهن وعائلاتهن، لكن معظمهن في النهاية حصلن على تقبل من حولهن لخياراتهن في الحياة.

العوامل البيئية

لقد أسهمت عوامل كثيرة في تألق هؤلاء النساء ـ فبعضهن جئن من الطبقة الرأسمالية، والأخريات إما من الطبقة الوسطى أو العائلات الفقيرة. كان أولياء أمور معظم هؤلاء النساء متعلمين، لكن آباء عدد قليل منهن لم يحظوا بأي تعليم جامعي. وقد درس بعضهن في جامعات بنات رفيعة المستوى، كما درس عدد منهن في جامعات رسمية كبيرة، لكن بعضهن لم يتخرجن في الجامعة. وكانت بعض العوامل البيئية مشتركة بين معظم هؤلاء النساء اللواتي تمتعن برعاية عائلاتهن لموهبتهن، لكن عدداً قليلاً لم يحظ بهذه الرعاية. وقد كان لمعظم هؤلاء النساء أشقاء وشقيقات، كما أن كثيرات منهن لم يكنّ المولود الأول في العائلة.

وقالت بعضهن أن والديهن كانوا يهتمون بالأولاد أكثر من اهتمامهم بالبنات. وفي ما يتعلق بالزواج، كان معظمهن، وليس كلهن، متزوجات وأنجبن أولاً، ما عدا اثنتين منهن. وقررت كثيرات منهن عدم الإنجاب حتى لا ينشغلن عن متابعة مواهبهن. وترملت اثنتان منهن وهما صغيرتان. ومع أنهما أعربتا عن حزنهما الشديد لهذه التجربة المأساوية في حياتهما، إلا أنهما قالتا أن هذه الوفيات المبكرة سمحت لهما بمتابعة مواهبهما وتطويرها. وطُلقت بعضهن بعدما أدركن أن أزواجهن لا يشجعون مواهبهن. وهناك عدد منهن فضّلن البقاء في البيت ولم يلتحقن بوظائف لأنهن كنّ يشعرن أن أطفالهن بحاجة إليهن.

أما البيئة العائلية فكانت متنوعة، مثل بيئة العمل. وكان بعضهن يغيرن مواعيد العمل، كما كانت أخريات يبدلن وظائفهن كثيراً. وقد تقبل بعضهن صعوبات العمل، ووجدن خيارات إبداعية من العمل في البيت. لكن عدداً منهن قاومن بيئات العمل السلبية وتركنها في نهاية المطاف.

وبينما كان بعضهن يفضلن العمل بمفردهن، كانت نساء أخريات يفضلن التفاعل مع مجموعة من الزملاء. وقد سلكن جميعهن مساراً فريداً في طريقهن إلى الشهرة والنبوغ، وبحثن عن كل ما يساعد في تطوير مهاراتهن، وواصلن تعليمهن الرسمي أو المستقل، واكتسبن خبرة معرفية عن حاجاتهن إلى العمل وعن حياتهن الشخصية.

وقد استمتع بعضهن بحياتهن، واعترفت أخريات أنهن مررن بفترات تعيسة في حياتهن تميزت بالوحدة والإيثار والقرار الواعي لتجنب الحياة التقليدية العادية. وبينما حاولت بعضهن بشدة فصل حياتهن الخاصة عن الحياة العملية لترك مسافة كافية لتحقيق التوازن، جمعت أخريات بين العمل والحياة الشخصية دونما أي فاصل بينهما، وكنّ سعيدات بذلك.

إدراك الأهمية الاجتماعية لعملهن والإيمان بالقدر والمصير في الحياة

كان لدى كل واحدة من هؤلاء النساء رغبة شديدة لاستخدام مواهبها وقدراتها بطرق تبعث على الرضا الذاتي وتعود بالنفع على المجتمع، وأضفت كل واحدة منهن معنى الحتمية والقدرية على أهمية عملها وإسهاماتها. وبصورة عامة، فقد استمتع. معظمهن بحياتهن، وقلن أنهن ما كن ليكتفين بتكوين عائلات وإنشاء علاقات حميميّة مع الشركاء والأصدقاء وممارسة الهوايات. لقد كان عملهن يعني لهن الشيء الكثير. ولأنهن كنّ يعتقدن أن عملهن يمكن أن يحدث تغييراً، فقد كنّ على استعداد للتضحية ببعض الخيارات الشخصية، وليس جميعها، لتحقيق النبوغ. فقد ضحى بعضهن بعدم إنجاب أطفال، أو أنجبن عدداً قليلاً، وتخلى بعضهن عن الأصدقاء، والأنشطة الترفيهية، لكنهن، بلا استثناء، احتفظن بعلاقات شخصية وثيقة مع أزواجهن، وأولادهن أو أصدقائهن مما أعطاهن قوة من التحمل. وعندما سئلت رئيسة إحدى الجامعات، التي حققت نجاحات كثيرة طوال رئاستها، عن الأصدقاء، أجابت ببساطة أنه لا يوجد لديها أصدقاء بسبب انشغالها، واعتقادها أنه لا يوجد من يفهم هوسها بالعمل، لكنها مع ذلك حافظت على علاقة متينة مع زوجها وأطفالها.

الإيمان بالذات والقدر والهدف والرغبة في تطوير الموهبة

مع مرور الوقت، استطاعت كل امرأة متميزة أن تطور إيمانها بذاتها، وشحذ رغبتها لترجمة قدراتها إلى عمل يسهم في تغيير هذا العالم، أو يحسن من نوعية الحياة. لقد كانت كل واحدة منهن تعرف هدفها، كما تعرف أن إيمانها بذاتها كان نتيجة نجاحها في عملها، واستطاعت في نهاية المطاف أن تعيش حياة قانعة. لكن هذا الرضا جاء بعد أن عملن بجهد من أجل تطوير قدراتهن ومواهبهن. وقالت معظمهن أن لديهن أصدقاء وأقارب يملكون قدرات عالية، لكنهم اختاروا طريقًا آخر لا يتطلب تضحيات وبذل مزيد من الجهد لتطوير قدراتهم. وبهذا الخصوص، قالت عضو الكونغرس أن أصدقاءها لم يفهموا لماذا لم تتوقف وتتمتع بحياتها بعد كل هذا العناء الذي قضته في العمل النيابي. وهناك نتيجة مشتركة بين هؤلاء النساء وهي أخلاقيات العمل، فكل واحدة منهن أرادت أن تكون طرفًا في التغيير،

وكن يعتقدن أن هذا قدرهن وأن لا خيار لهن في ما يقمن به، وأن العمل أتاح لهن الفرصة للتعبير عما في دواخلهن. ويعني كل هذا باختصار أنهن قد عملن جاهدات لبناء مواهبهن.

وهناك أوجه شبه واختلاف في هذا المفهوم مع نموذج آخر لتطوير الموهبة عند النساء وضعته كاثلين نوبل وكارين آرنولد ورينا سوبوتنيك ويركز مكوّن النتاج في نموذجهن على تطوير القدرة لدى النساء الموهوبات في عدة مجالات، مثل العلاقات العائلية والشخصية والاجتماعية. ويتضمن المجال العام تحقيق النبوغ من خلال النبوغ واحتلال مناصب قيادية في المجالات المهنية، بما في ذلك طرح أفكار أو نتاجات تؤدي إلى تغيير مسار أحد المجالات المعرفية أو الاجتماعية.

ويتفق النموذجان على أن باستطاعة النساء أن يوظفن تفوقهن وموهبتهن في تربية الأطفال وبناء علاقات اجتماعية وخدمة المجتمع المدني. ويختلف النموذج المقترح في هذا الفصل عن النماذج الأخرى للموهبة في عدة طرق فريدة بالنسبة للنساء. ولا يتسع المجال هنا لبحثها بالتفصيل، ولكن تاننبوم (Tannenbaum, 1983, 1991)، على سبيل المثال، يشترط وجود خمسة عوامل لتحقيق الموهبة الكامنة، هي: الذكاء الخارق، والاستعداد الاستثنائي، ومجموعة سمات غير فكرية مساندة، وبيئة مشجعة، وابتسامة حظ في المحطات الحرجة من الحياة. ولم تذكر أي امرأة في مجموعة الدراسة أنها قد أظهرت ذكاءً خارقًا في طفولتها. وقد نشأ عدد منهن في بيئات غير داعمة، وقالت كثيرات منهن أنهن واجهن «حظًا سيئاً» في مراحل حاسمة من حياتهن، كما لم يكن لديهن تقديرًا للذات في طفولتهن، إلا أنهن طوّرن هذا التقدير والاعتزاز بالنفس في أثناء التغلب على العقبات التي كانت تعترض طريقهن.

كما توجد أوجه شبه مع الأفكار الواردة في كتاب ستيرنبيرغ وديفيد سون (Sternberg & Davidson, 1986)، وإضافة إلى النتائج التي تدعم ما توصل إليه رنزولي ستيرنبيرغ التي بحثناها سابقًا، فإن هذا البحث يدعم أيضًا ما توصل إليه غروبر. فقد كرست هؤلاء النساء حياتهن لتحقيق ذلك النوع من الموهبة الذي اهتم به غروبر، وهو «تلك الموهبة التي يستطيع من يملكها أن يحولها إلى عمل إبداعي فعّال لإثراء التجربة الإنسانية جمالياً، ولتحسين فهمنا للعالم، أو لتحسين الوضع الإنساني وزيادة احتمالات بقاء الجنس البشري» (p.248).

كما يدعم هذا البحث أعمال ستيرنبيرغ وغريغورينكو (2002) الأخيرة المتعلقة بتطوير الذكاء الناجح حيث إن هؤلاء النساء قد نجحن في حياتهن بجهدهن وطوّرن نقاط قوتهن للتعويض عن نقاط ضعفهن، كما كيّفن أجواء البيت والعمل لتطوير مواهبهن الفريدة. ومن أجل إيضاح ثراء حياة النساء، وبعض أوجه الشبه والاختلاف بين هذا البحث والبحوث السابقة في هذا المجال، فسوف نورد نبذة حياة موجزة لامرأتين شاركتا في دراستي عن النساء المتميزات.

دراسة حالة لامرأتين رائدتين

ماري هنتر وولف، ناشطة في مسرح الطفل (1904-2002)

ولدت ماري Mary Hunter Wolf في بيكرزفيلد في ولاية كاليفورنيا في عام 1904، وتوفيت والدتها بعد أسبوعين من ولادتها. بعد مرور عامين من وفاة والدتها، انتقل والدها، الذي كان يملك مزرعة لتربية المواشي، إلى منطقة بيفرلي هلز التي كانت ما تزال ريفية في ذلك الوقت. والتحق والدها بوظيفة في أحد البنوك، ثم تزوج عندما كان عمر ماري أربع سنوات. وتذكر ماري أن زوجة أبيها كانت تعتني بها. وكانت ماري تهتم بأشياء كثيرة، وتحديداً بالقراءة والخطابة. وعندما قاربت على الالتحاق بالمدرسة الثانوية، كانت قد مرت بمدارس عديدة، وتعلمت حب المسرح والرقص والتمثيل. وواجهها الحظ العاثر مرة أخرى عندما توفي والدها وعمرها لم يتعدّ 12 عاماً. وظلت تعيش مع زوجة أبيها، مع أن عمتها ماري أوستن أخذت تتدخل في حياتها أكثر من قبل. كانت عمتها مطلّقة، وكان ابنها الوحيد يعاني من مشكلات نمو حادة، ثم توفي بعد ذلك. كانت العمة من رائدات العمل النسائي وألّفت عدة كتب ومسرحيات، من بينها مسرحية «صانع السهام» التي كتبتها في عام 1911، وكان موضوعها عن الاستهانة بقدرات النساء. كما كتبت أيضا ثلاث روايات: «عبقرية امرأة» A Woman of Genius وصفت فيها كيف يمكن لتقاليد الزواج أن تعيق إبداع النساء، و «عظَمة النساء» Greatness in Women في عام 1923، و «امرأة تنظر إلى عالمها» A Woman Looks at Her World في عام 1924.

ومن الواضح أن ماري أوستن Mary Austin أثّرت كثيراً في حياة ماري وولف هنتر، مثلما أثّرت صديقة طفولتها أغنيس دو مايلي Agnes de Mille التي ظلت لصيقة بها طوال حياتها. كانت ماري قد تعرفت على أغنيس عندما التحقتا بمدرسة هوليوود للبنات، وشاركتا معًا في إنتاج التمثيليات وألعاب المسرح.

وغالباً ما كانت أغنيس تطلب من ماري مرافقتها إلى المسرح حيث كان أبوها منتجًا ومخرجاً لأول أفلام هوليوود، منها «الفرسان الأربعة» Four Horsemen ، مع رودولف فالنتينو. وفي العطلة الصيفية، كانت ماري تعمل في أحد مسارح هوليوود حيث كان يعمل والد أغنيس. وبعد إكمال دراستها الثانوية، غادرت ماير كاليفورنيا للالتحاق بكلية ويلسلي في ولاية ماساشوستس، لكنها صدمت بالعقلية الطفولية وانعدام الوعي الاجتماعي بين المجتمع الطلابي في فترة العشرينيات من القرن الماضي. وفي ويلسلي، واصلت نشاطها في الإنتاج المسرحي، لكنها اضطرت إلى ترك الكلية لمشكلات صحية وذهبت لتعيش مع عمتها في نيومكسيكو. عاشت هناك لعدة سنوات، ومارست مهنة التعليم، وكانت بمثابة سكرتيرة لعمتها، إلى أن انتقلت إلى شيكاغو لإكمال دراستها الجامعية،

وممارسة عملها المسرحي. وهناك، عملت في وظائف مؤقتة، مثل موظفة مبيعات ومقدمة برنامج إذاعي حواري، ثم انتهى بها المطاف لتلعب دور «مارجي» في كوميديا إذاعية كانت لها شهرة واسعة.

وفي أثناء إقامتها في شيكاغو، تزوجت ماري من طالب يدرس الحقوق، ثم انضمت إلى الحزب الاشتراكي، لتنتقل بعد ذلك إلى نيويورك مع فرقة الكوميديا الإذاعية. وفي فترة الكساد العظيم، فقد كثير من أصدقائها وظائفهم، فكانت سعيدة لأنها تحصل على دخل منتظم. بعدما أنهى زوجها دراسة الحقوق انضم إلى ماري في نيويورك بعد عام من تخرجه. ولسوء الحظ، أنهما انفصلا بسبب، كما قالت، دخلها العالي مقارنة بدخل زوجها. ولكن هذا الانفصال لم يمنعها من مواصلة طريقها نحو القمة. ففي الفترة من 1944 - 1938 أخرجت ست مسرحيات لشركة الممثلين الأمريكيين التي ساعدت في تأسيسها. ومن عام 1955 - 1944، أخرجت خمس مسرحيات لمسرح برودواي وساعدت في إخراج ست مسرحيات أخرى. لكن انشغالها في هذه الأعمال الفنية لم يمنعها من رعاية عدد من كتاب المسرحيات، من بينهم تينيسي ويليامز. وكانت واحدة من تسع مخرجات في الولايات المتحدة، وجمعهن كنّ عازبات وبلا أولاد.

وبينما كانت في ذروة نجاحها في مدينة نيويورك دخل حياتها مرة أخرى اثنان من أصدقائها في شيكاغو كانت ترتبط معهما بعلاقة وثيقة. كانا متزوجين ويعيشان مع ثلاثة أطفال في كنيكتيكت. لكن الزوجة توفيت وظل الزوج وحيداً ليعتني بالأطفال. وتذكر ماري أنها تعرضت إلى ضغط شديد لتقبل بالزواج من صديقها وتساعد في رعاية الأطفال الذين كانوا يبلغون من العمر 11، 8 ، 5 سنوات على التوالي. وأخيراً، تركت نيويورك وذهبت إلى كنيكتيكت لتتزوج وتصبح أماً لهؤلاء الأطفال، الذين كانوا، كما تقول، «في حالة يرثى لها وكانوا بحاجة شديدة إليها» . وتصف تلك الفترة أنها كانت مثيرة وصعبة وإبداعية. ولأن حياتها تغيرت بشكل جذري، أخذت تبحث عن تحديات إبداعية أخرى في المدارس والمجتمع المحلي، فعملت مع الأطفال الفقراء في ضواحي المدن. ولم يمنعها هذا النشاط من منح الحب والدعم إلى زوجها والأطفال.

وبعد عشر سنوات، قرر الزوج إنهاء هذا الزواج بعد ما أحب امرأة أخرى. شعرت ماري بالإهانة في بداية الأمر، ولكن ما آلمها أكثر هو أنه حاول أيضاً إنهاء علاقتها بالأطفال الذين كانوا يعدّونها بمثابة أم لهم. وعندما انتهى زواجها، كانت قد غابت عن المشهد لمدة طويلة لا تسمح لها بالعودة إلى مسرح برودواي مخرجة أو منتجة، كما أنها لم تفكر في مغادرة كنيكتيكت وترك الأطفال الذين قالت إنهم ما يزالون بحاجة إليها. وعندما سألناها إن كانت نادمة على تركها المسرح وهي في قمة شهرتها، أجابت باندهاش، «نادمة؟ كيف يمكن أن أكون نادمة؟ لو لم أتزوجه، لما كان لدي هؤلاء الأطفال».

وبدلاً من أن تشعر بالمرارة لما حدث، إلا أنها تصف تلك الأوقات بأنها كانت «ممرات إبداع» أثرت فيها ايجابيًا حيث أشرفت على رعاية ثلاثة أطفال، وتكيفت مع زوج عمره 50 عاماً. ظلت لعقود بعد طلاقها رئيسة لجنة الفنون المحلية، ثم عملت مخرجة لمسرح احتفالية شكسبير. وقد بادرت بإنشاء برنامج استشارات فريد، الذي طبق في إنحاء البلاد بعد ذلك، وهو استخدام الأساليب المسرحية في تعليم الطلاب الفقراء. وطوال هذه الفترة ظلت على اتصال مع أصدقائها القدامى ومع كثير من المخرجين والمنتجين والممثلين، ثم انتقلت إلى منطقة قريبة من نيويورك لتبدأ تحديات جديدة، بما في ذلك برامج مسرحية مبتكرة ما زالت تعرض حتى اليوم، بعد سنوات من وفاتها.

جوان تاور Joan Tower، مؤلفة موسيقية (-1938)

هي واحدة من أشهر الملحنين الأمريكيين في العصر الحديث، وتتمتع بشخصية حيوية وجذابة. وهي امرأة متواضعة وذات ابتسامة دائمة. كان والدها مهندس تعدين وعازف كمان. أما أمها فكانت تعزف البيانو. كان لديها أخت تكبرها بتسع سنوات، وأخ يصغرها بتسع سنوات. درست في المدارس الحكومية، وبدأت تتعلم العزف على البيانو في عمر ست سنوات. وعندما بلغت تسع سنوات من العمر، انتقلت عائلتها إلى بوليفيا حيث عمل والدها هناك مشرفاً على أحد المناجم. ظلت أختها الكبرى في الولايات المتحدة لمتابعة دراستها، أما أخوها فكان صغيرًا، ولذلك شعرت بالوحدة وهي تحاول التكيف مع وطن جديد، ولغة جديدة، وبيئة جديدة. وغالبًا ما كانت تحتك بالمواطنين البوليفيين الذين كانوا يعملون مع عائلتها، كما كانت تذهب إلى الاحتفالات الدينية والمناسبات الأخرى، وهناك كانت تستمع إلى آلات موسيقية عديدة، كما تقول. وكانت ترافق والدها إلى عمله وكانا أحيانًا يمتطيان حيوان اللاما للوصول إلى حيث يريدان. وقد بنى عليها معلم البيانو البوليفي آمالاً كباراً، وطالبها بمواصلة التمرن على العزف. وتقول إن الموسيقى كانت جزءاً من حياتها، فقد كانت العائلة تجتمع أحياناً حول البيانو بعد العشاء حيث كانت أمها تعزف على البيانو وأبوها يعزف على الكمان أو يغني، بينما كانت تجرب آلات النقر المحلية.

كانت تحب الخيول وتمتطيها للمتعة، وحاولت إقناع والدها بشراء حصان سباق لها لأن سعره معقول في بوليفيا. وتعترف بأنها كانت متمردة في المدرسة، وعندما عادت عائلتها إلى الولايات المتحدة، أكملت جوان آخر سنتين من دراستها في مدرسة داخلية، وهناك واصلت تعلم دروس البيانو لعدة ساعات يومياً. وقد واصلت هواياتها الموسيقية وهي تدرس في كلية باننغتون في فيرمونت، حيث أكملت هناك تأليف أول معزوفة موسيقية ضمن مشروع دراسي. تخرجت من هذه الكلية في عام 1961، ثم انتقلت إلى نيويورك والتحقت بجامعة كولومبيا وحصلت على شهادة الماجستير في عام 1964 وعلى شهادة الدكتوراه في الموسيقى في عام 1978. وأعالت جوان نفسها من خلال إعطاء دروس بيانو وتشكيل فريق موسيقي لتقديم مقطوعات موسيقية حديثة. وإضافة إلى ذلك، قامت بتنظيم سلسلة حفلات موسيقية وجمعت تبرعات لتدفع أجور العازفين. كانت تكتب لحناً جديداً لكل برنامج جديد من هذه الحفلات. واكتسب الفريق الذي شكلته «دي كامبو تشامبر بليرز» شهرة واسعة، وأصدر عدة أسطوانات وأقام حفلات في معظم دول العالم.

بحلول عام 1985، كانت جوان قد ألفت أكثر من 17 قطعة موسيقية لآلة الكلارنيت والكمان والناي وغيرها. وحقق أول عمل أوركسترالي لها عام 1981 نجاحًا كبيرًا، وعزفته أكثر من 30 فرقة أوركسترا. وظهرت مراجعات وتقويمات لأعمالها في الصحف الكبرى والمجلات والفصليات الموسيقية، وتلقت العديد من الجوائز والمنح والبعثات الدراسية. وقد شاركت في مسابقة موسيقية بأحد أعمالها الذي حمل عنوان «السلالم الفضية» ضد 140 عملاً موسيقياً جديداً، وفازت فيها بجائزة غراويمير، وهي أكبر جائزة نقدية في الموسيقى. وقد عاشت مع أحد الرجال لمدة ثلاثين عامًا، ثم تزوجا في عام 2001، ولم ينجبا أطفالاً. وقد كانت تقضي ما بين سبع إلى ثماني ساعات

في التأليف الموسيقي في اليوم الذي لا تعمل فيه. كانت تكره أيام العطل وتشعر بأن عليها التزام بمواصلة العطاء لأنها امرأة. وقالت مرة: «ما زال أمامنا طريق طويل. أعني، أُنظر إلى الأرقام. كم عدد القطع الموسيقية التي ألفتها النساء؟ وكم عدد هذه القطع التي نعرفها على أية حال؟ إن الرجال هم المهيمنون على عالم الموسيقى. وإذا ما نظرت إلى كتاب تاريخ الموسيقى فلن تجد فيه سوى امرأتين طوال هذا التاريخ»

وفي السنوات الأخيرة، حظيت أعمالها بمزيد من التقدير. وقد عزف عملها الأخير «لحن قصير لامرأة مجهولة» Fanfare for the Unknown Woman أكثر من 500 فرقة موسيقية. وافتتحت به عدة صالات عرض ومهرجانات موسيقية، مثل صالة كارنيجي ومهرجان آسبن للموسيقى. وقد كانت موضوعًا لعدة أفلام تلفزيونية وثائقية بثتها قنوات ومحطات تلفزيونية معروفة في الولايات المتحدة وبريطانيا.

انتخبت في عام 1998 وعام 2004 لعضوية أكاديمية الفنون والآداب الأمريكية، وأكاديمية الفنون والعلوم الأمريكية على التوالي. وعملت أستاذاً للموسيقى في كلية بارد منذ عام 1972، ولها أفكار طريفة عن الملحنات، إذ تقول: «اعتقد أن هناك من لا ينتبه إلى عدم وجود أي امرأة ملحنة في حفلاتهم الموسيقية. ولهذا السبب، فإني بحاجة إلى من يذكرّني بأني امرأة ملحنة. وما عدا ذلك، فالموسيقى هي الموسيقى، وحقيقة أني امرأة لا يعني شيئاً بالنسبة للموسيقى». وهي تعتقد أن من المهم تذكير الناس أن هناك امرأة قادرة على التأليف الموسيقي وأن الناس يمكن أن يشتروا اسطواناتها. وهي تؤمن بشدة أن عليها أن تساعد النساء الأخريات بأن تقدم لهن النموذج والقدوة، لكن الأمور تسير ببطء لأن هناك كثيرًا من النساء السلبيات، كما تقول:

«إنهن ينتقدن قدراتهن وموهبتهن أكثر مما يفعل نظراؤهن الرجال. ولو كان هذا رأي الملحنين والمؤلفين الموسيقيين، فمن المؤكد أنهم سوف لن يبثوا أعمال النساء. والمشكلة هي أنه لا يوجد أمام النساء نماذج كثيرة، وخاصة من بين المؤلفين الموسيقيين الموتى، كما أنهن لا يحظيْن بالدعم الكافي ضمن مجتمعهن المحلي. ولهذا فإن عليهن أن يشققن طريقهن بأنفسهن، لكن بعضهن، للأسف، لا يملكن القوة لفعل ذلك».

مواضيع بحوث عن النساء المتفوقات والبارزات

كيف يمكن لامرأة في مجتمع أغلبية مخترعيه وقادته وسياسيه وفنانيه وموسيقييه من الرجال، أن تكوّن رأياً فلسفياً عن قدرتها ونظام الدعم المطلوب لتحقيق أعلى مستويات العمل الإبداعي؟ كيف يمكنها أن تتغلب على ظروف تنشئتها، ونصائح والديها ومعلميها، والختم الموشوم على تصرفاتها وسماتها الشخصية، ومعرفتها أن الوصول إلى المستويات العليا يتطلب الابتعاد عن الذين تحبهم؟

فعندما توصلت ماريا جيوبرت- ماير Maria Goeppart-Mayer إلى الاكتشاف عن تركيبة القذيفة النووية الذي منحت على أساسه جائزة نوبل في الفيزياء في عام 1963، أخرّت

الإعلان عن هذا الاكتشاف لعدة أشهر. ويقول أحد الذين كتبوا عن حياتها أن التواضع ربما كان وراء هذا التأجيل، لكنني اعتقد أن ترددها ربما يعكس أيضا الخوف من الفشل، أو حتى الاعتقاد الحقيقي الذي يفرضه مجتمعنا على النساء القديرات وهو أن الاختراعات والاكتشافات والإبداعات خاصة بالرجال. وإلى أن يأتي اليوم الذي نرى فيه مزيدًا من النساء المخترعات والمكتشفات والملحنات، فإن النساء سوف يبقين ضمن أدوارهن التقليدية – مطبقات لأفكار الآخرين، ومنظمات ومقدمات خدمة في المشهد الخلفي للإبداع. ولن نتمكن من فهم هذه المتغيرات الغريبة، إلا بإجراء مزيد من البحث عن النساء المتفوقات، وصاحبات القدرة العالية اللواتي لا يصلن إلى مستويات الأداء العالية.

ومن أجل وضع إطار مستقبلي لهذا البحث، فقد قسمت البحث الضئيل نسبيًا الذي يتناول تطوير الموهبة عند النساء إلى أربعة مواضيع رئيسة:

- الموضوع الأول: سمات شخصية المرأة النابغة

يتعلق الموضوع الأول بتحديد سمات شخصية النساء النابغات، ودراسة هذه السمات كوسيلة لتعلم كل ما هو مطلوب لتطوير المواهب. وغالباً ما يندرج البحث في هذا المجال تحت مظلة وجهات النظر التاريخية باستخدام التحليلات البَعدية، والبحث المعاصر عن النساء الموهوبات، مثل النساء البارزات اللواتي تطرقنا إليهن في بداية هذا الفصل. وغالبًا ما يلجأ الباحثون الذين يجرون دراسات تاريخية إلى استخدام كتب سير الحياة لتحديد عوامل الشخصية المشتركة للنساء الشهيرات مثل الكاتبات والعالمات والفنانات (Antler, 1987; Dash, 1988; Gabor, 1995). وغالبًا ما تحدّد التحليلات البَعدية والمعاصرة عوامل الشخصية مثل الإصرار على تخطي المشكلات أو التحديات، والاستقلالية، والرغبة في عيش حياة مختلفة عن حياة زميلاتهن أو نظرائهن. وقد حاول والاس و وولبرغ (Wallace & Wahlberg, 1995)، مثلاً، تحديد الظروف المبكرة للنساء الراشدات باستخدام تحليل تاريخي للسمات. وقد وجدا أن هؤلاء النساء الشهيرات، كنّ ميالات للتشكيك في الافتراضات والتقاليد المرعية، أكثر من البنات اللواتي أصبحن فنانات، وعالمات، ومحاميات وسياسيات معروفات. وقد وصفت هلسون (Helson, 1996) سمات شخصية النساء المتفوقات في الرياضيات مقارنة بالرجال بأنها مرنة جداً، وأصلية، وقادرة على رفض المؤثرات الخارجية. كما وجدت أنهن متمردات، ومستقلات، ومنعزلات ومرنات في كل من مواقفهن العامة، وعملهن الرياضي. وتشير خلاصات البحوث المتعلقة بتحديد السمات الشخصية للنساء المتفوقات والموهوبات إلى وجود عدة سمات مشتركة بين هؤلاء النساء.

(Wasserman, 2000, Kennedy and Mc Connel, 2001; Arnold, Noble & Subotnik, 1996; Linehen, 2001; Omar and Davidson, 2001; Dash, 1973; Reis,1998, 2002; Baston, 1990, Wallace and Wahlberg, 1995; Ajzenberg, Selove, F., 1994, Oppenheimer, 1988). وتتضمن هذه السمات: الالتزام بالمهمة، والتحمل،

والتصميم والفردية والانفتاح على استكشاف مجموعة واسعة من الاهتمامات، والإبداع، والمخاطرة والقدرة على التركيز، والحيوية والإثارة من أداء العمل.

- الموضوع الثاني: المعيقات الداخلية والخارجية التي تعرقل تطور مواهب النساء ونبوغهن

تشير البحوث الخاصة بالنساء النابغات إلى أن المعيقات الداخلية والخارجية تعرقل إتمام الأعمال عالية المستوى (Arnol & Denny, 1985, Callahan, 1979; Hollinger and Fleming, 1988; Kerr, 1985; Ochse, 1991; Piirto, 1991; Reis, 1987, 1998; Subbotnik and Arnold, 1995) . وتشمل المعيقات الخارجية طريقة تنشئة هؤلاء النساء في طفولتهن، والرسائل الثقافية التي يواجهنها في مسيرة حياتهن. وتسهم المعيقات الخارجية في حدوث المعيقات الداخلية التي غالبًا ما تكون شخصية إلى حد كبير. فمثلاً، قالت إحدى الفنانات أن أطفالها اجبروها على التوقف عن متابعة موهبتها في النحت. وعن ذلك تقول: «لقد أمضيت ربع القرن الأخير وأنا «انحت» أطفالي الثلاثة. لقد أخذوا كل قطرة من موهبتي، ولم يتبق لدي أي شيء من الموهبة والوقت أو الطاقة الإبداعية لأكرسها لعملي» (Reis, 1989). ومع أنها وجدت صعوبة في التعبير عما في داخلها، إلا أنها تساءلت :»ترى ماذا كان سيحدث لموهبتي لو أنني قررت أن لا أنجب أطفالاً».

ويمكن أن تكون هذه المعيقات الخارجية تاريخية أو معاصرة. وتشير الروايات التاريخية إلى أن المجتمع كان يتجاهل النساء ربما لأنه لم يكن يسمح للبنات بممارسة النشاط الفكري. وغالبًا ما كنّ يتلقين تعليماً أقل من الأولاد، ولم تعط لهن الفرصة لتطوير قدراتهن. وبالتأكيد أن النساء، وبخاصة نساء الأقليات، لم يتلقين التشجيع أو التحفيز الكافيين، كما لم يسمح لهن بامتلاك الأدوات الضرورية لبناء مهاراتهن الفكرية وتطوير قدرتهن لإنتاج شيء ذي قيمة ثقافية. وكان ينظر إلى النساء على أنهن أقل من الرجال في استخدام مهاراتهن الفكرية بطرق إبداعية، وإذا ما حاولن القيام بذلك، فغالباً ما كنّ يعبّرن عن القيود في حياتهن الخاصة. أما البحوث المعاصرة، فتثير تساؤلات عن سبب توقف النساء عن متابعة اهتماماتهن، أو إعطاء أهمية للأعمال التي ينتجنها. (Arnold, 1995; Callahan, 1979; Kerr, 1985; Reis, 1987; 1998). وتتفاقم المشكلة بالنسبة للنساء اللواتي لا ينتجن أعمالاً أصلية أو إبداعية لأنهن يخفن من النقد أكثر من الرجال (Baer, 1997; Roberts, 1991; Roberts & Nolen – Hoeksema, 1994, Reis, 1998) ويبدو أن أهمية العلاقات، والشعور بالذنب من إعطاء أولوية للعمل على حساب العلاقات الشخصية، تعد من أكثر المعيقات الداخلية (Arnold, 1995; Reis, 1998)، وتشمل المعيقات الخارجية الأخرى ضغوطات الوقت، والشعور بالذنب لاضطرارهن للعمل في الوقت الذي كان الآخرون (الأمهات، والأخوات والأصدقاء) يقلن لهن إن هذا الوقت من حق عائلاتهن، وغياب الدعم، ونظرة الآخرين السلبية، ومشكلات أجواء العمل (Callahan, 1979, Kerr, 1985; Ochse, 19991, Piirto, 19991; Reis, 1981; 1998). وفي السنوات نفسها التي أثبت لهمان (Lehaman, 1953) أن الإنتاجية الإبداعية تبلغ فيها

ذروتها عند الرجال، فإن مسؤولية النساء تجاه الأطفال تزداد (Reis, 1998). كما لاحظ بعض الباحثين أيضًا أن النساء المتفوقات يتعرضن في مجتمعنا إلى ضغط نفسي كبير نتيجة لتناقض الأدوار مما يؤدي إلى تراجع الدافعية الإبداعية.

وخلاصة هذه البحوث حول المعيقات الداخلية والخارجية هي أن هناك عدة عوامل داخلية: التركيز على أهمية العلاقات على حساب الانجاز، واستبطان (استدخال) القيم الخارجية وتعريفات دور النوع الاجتماعي، والشعور بالوحدة، والعزلة، وانعدام الدعم، والتقليل من القدرات الذاتية، والتدمير الذاتي، والتوقعات غير الواقعية. أما المعيقات الخارجية فتتضمن طبيعة الخيارات بين العمل والعائلة، نقص الدعم من العائلة والأصدقاء للانجاز والطموح، والتأثير السلبي للنساء الأخريات في مكان العمل، ورأي الزملاء السلبي عن النساء المحترفات، والتأثير السلبي للنظرة الاجتماعية تجاه قدرات المرأة وأدوارها.

- الموضوع الثالث: العوامل التي تمكن النساء النابغات من النجاح

غالبا ما تظهر النساء البارزات تصميماً على هدف وحيد، ويتخذن خيارات صعبة بخصوص حياتهن الخاصة (بما في ذلك قرارات الطلاق أو رفض الزواج، وإنجاب عدد قليل من الأطفال، أو عدم الإنجاب، أو العيش وحيدات... الخ)، وتكوين أنظمة دعم (بما في ذلك الأزواج، على سبيل المثال، للمساعدة في تحقيق إنتاجيتهن الإبداعية. وعادة ما تتخذ القرارات عن وعي كامل لإتباع أسلوب حياة يناسب الأعمال الصعبة. ففي بحث لاستقصاء كيفية تطوير النساء الفنانات المبدعات لمواهبهن، وجد ليست ورنزولي (1991) أن هؤلاء النساء كن يتمتعن بدعم عائلاتهن، وبتوجيه من معلم متخصص، وبدافعية ذاتية للإبداع، وبالرغبة لعرض إنتاجهن على الجمهور المناسب. كما أن العالمات الناجحات قلن أن سبب نجاحهن كان النموذج في حياتهن، سواء أكان أستاذاً في المدرسة أو الجامعة، أو أحد أعضاء العائلة الذي قدم لهن الدعم. أما النساء اللاتي تزوجن فقلن أن تشجيع أزواجهن كان وراء نجاحهن المتواصل. وفي بعض الحالات، دُفعت نساء موهوبات، مثل شيرلي جاكسون وماريا ماير، دفعاً من أزواجهن لإنتاج عمل ذي قيمة.

- الموضوع الرابع: الفروق بين عمل المرأة والرجل وإنتاجهما

يتعلق هذا الموضوع الأخير بفروق الجندر(النوع الاجتماعي) في عمليات ونتاجات العمل الإبداعي. وقد دعا بعض الباحثين إلى تغييرات في نظرتنا للنساء وتطوير الموهبة، والى تغييرات في المفاهيم الاجتماعية مما قد يسهل تطوير القدرات العالية عند النساء (Bateson, 1990; Kirschenbaum & Reis, 1997). وقد قدمت النساء، ومازلن، إسهامات إبداعية تختلف عن الانجازات التي حققها الرجال، ومع ذلك، يبدو أن المجتمع يقدر انجازات الرجال أكثر من انجازات النساء. وربما لا تعكس انجازات النساء تلك الإنتاجية الإبداعية التي تؤدي إلى الحصول على الجوائز، وتأليف الكتب، والأعمال الفنية، وبراءات الاختراع، والمنصب المهني، والمكاسب المالية. بل إن هذه الجهود الإبداعية قد تختلف عن جهود نظرائهن من الرجال.

ولأن التجارب الحياتية للنساء في المجتمع قد تختلف إلى حد كبير عن تجارب الرجال، فمن المنطقي وجود فروق في العملية والإنتاجية. فعلى سبيل المثال، تعتقد بعض الفنانات أن التطور الإبداعي الذي مررن به في طفولتهن وتنشئتهن، يمكن أن يسهم في تطور فنهن الإبداعي. وتعترف إحدى العالمات ذات الإنتاج الغزير التي حصلت على عدة براءات اختراع، وأعدت أكثر من ورقة بحث، أنها أجرت أبحاثها وهي تمارس وظيفتها في رئاسة كلية العلوم في جامعة مرموقة. لقد كانت مسئولة عن أكثر من 100 أستاذ، وميزانية تبلغ أكثر من 20 مليون دولار، وأدارت مختبراً للأبحاث العلمية أنشأته بمبادرة ذاتية. وقد تكفلت برعاية الطلاب المحرومين والمتنوعين ثقافياً ليصبحوا علماء، وكرست جزءًا كبيرًا من وقتها للإشراف على الطلاب الموهوبين من الأمريكيين السود. وقالت إنها تتمتع بكفاءة عالية ويمكنها أداء عدة مهمات في آن واحد. وفي أيام العطل، لم تكن تواصل نشاطها الأكاديمي، بل كانت تمارس هواية أخرى في الاعتناء بحديقتها. وكان لديها ثلاثة أبناء تخرجوا من الجامعة وعاشوا حياة ناجحة، وحافظت على علاقة حب مع زوجها المهندس الذي كان يقول أن عمله يعدّ ثانوياً مقارنة بعمل زوجته. وقد عاشا حياة زوجية سعيدة طوال ثلاثين عاماً. وهي ربما لن تفوز بجائزة نوبل، ولكنها اختارت، مثل غيرها من النساء المتفوقات، أن تنوع مواهبها واستثمرتها في مختبرها وعملها الوظيفي والأكاديمي، وأن تشرف على الطلاب المحرومين، وتعتني بزوجها وأطفالها، وهواياتها. وقد فعلت ذلك لأن كل هذه المجالات كانت تملأ حياتها بالبهجة، ولأنها كانت تشعر بعظم المسؤولية، وبخاصة تجاه عائلتها وطلابها وكليتها.

وربما تكون أكثر قضية مثيرة للجدل في ما يتعلق بالنساء وطريقة عملهن هي الإدعاء بوجود تناقض بين التزامهن بهدف وحيد ضروري للانجاز الإبداعي، وبين شخصياتهن، أو حاجتهن، أو رغبتهن في الحفاظ على عائلاتهن أو وظائفهن (Piirto, 1991; Subotnik & Arnold, 1995).

وفي الحقيقة أن لدى الكثير من النساء قدرة على الالتزام بهدف واحد في عملهن، ولكنهن يخترن تنويع جهودهن الإبداعية مثلما فعلت ماري هنتر وولف والعالمة التي وصفناها سابقًا (Reis, 2006).

وتبين البحوث الحديثة أن بعض النساء الموهوبات متنوعات القدرات في مجالات متعددة في حياتهن (الثعالب أكثر من القنافذ) بما في ذلك العلاقات، والعمل المرتبط بالعائلة والبيت، والاهتمامات الشخصية، والذائقة الجمالية.

ويبرز هذا التنوع في مواهبهن الإبداعية في أعمالهن، وكذلك في الجوانب الأخرى مثل علاقاتهن بالعائلة والأصدقاء وطريقة تزيين بيوتهن، وإعداد الطعام، وإعداد الجداول الزمنية لعائلاتهن، والتوازن بين العمل والحياة الشخصية، وتنظيم ميزانية العائلة. وعندما سئلت عن أكثر الفترات إنتاجية في حياتها، قالت ماري وولف هنتر قبل وفاتها بوقت قصير إن إنتاجية النساء الإبداعية تتخذ عدة صور متنوعة أكثر من الرجال. ومما قالته :

«تقضي النساء حياتهن وهنّ ينتقلن من عمل إبداعي إلى آخر، ويجدن متعة في تنوع تعبيراتهن الإبداعية. وبالمقابل، لقد وجدت أن الرجال يحددون هدفاً نهائياً وينطلقون مباشرة نحو ذلك الهدف الإبداعي. وهذا هو السبب في أن الرجال قادرون على تحقيق الأهداف والشهرة بسرعة أكثر من النساء. ولكني اعتقد أن رحلة النساء الإبداعية أكثر ثراءً، وهنّ يجدن متعة في تنوع أنشطتهن الإبداعية».

وربما نظرًا لأن على النساء أن يناضلن لإيجاد مكان لهن في مجالات العمل، فإنهن لا يحظين بالوقت الكافي أو الخبرات للتركيز على هدف واحد كما يفعل الرجال. وربما تكون الحواجز التي يواجهنها طوال الوقت هي التي تدفعهن إلى تنويع مواهبهن، أو ربما لأنهن يفضلن التعبيرات المتنوعة لإبداعهن ونبوغهن. وقد تبرز العملية عند النساء بصورة مختلفة أكثر مما هي عليه عند الرجال، كما إن نتاجات عملهم الإبداعي قد تختلف أيضًا. يضاف إلى ذلك أن الكاتبات والفنانات والعالمات في جميع الحقول المعرفية تعاملن أساساً مع المعايير الذكورية للإنتاجية التي أصبحت معتمدة كمقاييس ضمن أي حقل معرفي، ولكنها قد تصلح للرجال فقط وليس للنساء. ولهذا، حتى تكون النساء قادرات على الإنتاج في مجالات أكثر، فان إنتاجيتهن قد تكون أقل.

ويشير مجمل البحوث التي استعرضناها في هذا الفصل إلى أن طريقة العمل للنساء الموهوبات تركز بصورة أكبر على بناء الفريق، ودمج العلاقات الشخصية بالعمل، وفهم - دون تقبل - حقيقة أعباء العمل الكبيرة المتزامنة مع وضع متدنٍ في بيئة العمل. كما تهتم هؤلاء النساء بالمسؤوليات الاجتماعية المرتبطة بعملهن وتأثير هذا العمل على تحسين المجتمع.

تحديد البنات الموهوبات في المدرسة وخدمتهن

من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الحديث عن البنات الموهوبات دون الحديث عن النساء الموهوبات، لأن كثيرًا من البنات الشابات يعتقدن أنهن يستطعن عمل أي شيء وكل شيء، بينما توصلت النساء الموهوبات الأكبر سناً إلى حقيقة أنهن لا يستطعن ذلك. ومن المؤكد أن هناك فتيات كثيرات يتفوقن في المدرسة، ولكنهن كلما كبرن يشعرن بالحيرة والتناقض تجاه مستقبلهن مما يبدد أحلامهن. وكما قالت إحدى الطالبات التي ألقت خطبة التخرج الوداعية في مدرستها في مقابلة معها :»لقد كنت اعتقد أنني يمكن أن أصبح رئيسة الولايات المتحدة. وكنت واثقة ومتأكدة من أنني سوف أنجح في ذلك. والآن، فأنا أعمل بدوام جزئي في وظيفة متواضعة، وأعتني بأطفالي الثلاثة، وأذهب إلى البقّالة، وأحاول أن انهي الغسيل بحلول ليلة الأحد ليتسنى لهم الذهاب إلى المدرسة بملابس نظيفة. ولا أدري كيف حدث كل هذا (Reis, 1995). وهكذا، فإن معرفة المزيد عن أسباب تلاشي الآمال يتطلب إجراء دراسات عن أسباب عدم ترجمة النضج المبكر إلى تميز في المراحل اللاحقة من عمر الإنسان.

وقد أثبتت الدراسات أن إيمان الإناث الموهوبات بقدرتهن وثقتهن بأنفسهن تتحطم في مرحلة الطفولة أو البلوغ. وفي إحدى الدراسات النوعية، لم تقل أي فتاة أن نجاحها في المدرسة كان بسبب

قدرتها الاستثنائية (Callahan, Cunninghom & Plucker, 1994). وهذا يقودنا إلى السؤال: ما هي العوامل التي تساعد بعض الفتيات الذكيات في تحقيق ذاتهن، والشباب الموهوبين في تحقيق مستويات انجاز عالية والتمتع بحياتهم؟ تقدّم بعض الدراسات التي أوجزناها في هذا الفصل مقترحات لكيفية تعزيز خبرات الفتيات الذكيات في فترة الطفولة والرشد لزيادة إمكانية تحقيق أحلامهن. ومن هذه المقترحات، أولاً، يجب تحديد ما إذا كنّ يمتلكن مواهب، ثم تشجيعهن على المشاركة في أكبر عدد من الأنشطة الإثرائية لتعريضهن إلى طائفة واسعة من الخبرات، مثل تلك الواردة في نموذج الإثراء المدرسي الشامل (Renzulli & Reis, 1985; 1997). ويجب أن يكون التحديد بناء على الاهتمامات والمواهب، بما في ذلك تلك المتعلقة بالعمل الاجتماعي. ويجب توفير فرص متنوعة للعمل الإبداعي/الإنتاجي، بما في ذلك المسابقات مثل يوم التاريخ، والخبرات مثل فرق الكشافات والبرامج الصيفية. ويجب أن تعطى الفتيات فرصة مناقشة ما يحدث للنساء الموهوبات الأكبر سناً لسماع قصص هؤلاء النساء وأفكارهن والتعلم منهن. ويجب عليهن أن يقرأن السير الذاتية لأولئك النساء والاستفادة من تجاربهن في مواجهة العقبات والتغلب عليها.

الخلاصة

مما لا شك فيه أن أسباب نجاح بعض الفتيات والنساء الموهوبات، وفشل أخريات، في تحقيق قدراتهن في صورة عمل ذي معني، هي أسباب معقدة وتعتمد على عوامل كثيرة، بما في فيها القيم، والخيارات الشخصية، والقوى الاجتماعية الثقافية. وتوجد اليوم ضمن نظامنا المجتمعي إمكانية كبيرة بأن كثيرات من الإناث الموهوبات، وبخاصة المتزوجات اللواتي لديهن أطفال، قد لا يقدّمن نتاجات بالجودة مقارنة بنظرائهن من الرجال. ولهذا، هناك حاجة لإعادة تعريف تحقيق المواهب، أو توسيعه، ليشمل، على سبيل المثال، متعة الانجاز، بينما يواصلن مشوارهن المهني الذي يوفر لهن الوقت للاهتمام بالحياة الخاصة، ورعاية الأطفال، والعائلة أو النبوغ في مجال من خارج العمل المهني. ومع أننا لا يمكن أن نقلل من أهمية هذه الأنواع من المساهمات، التي قد تكون ضرورية للرفاه المجتمعي، إلا أنها لا تكفي لجعل كثير من النساء الموهوبات، اللواتي يؤمنّ بقوة القدر في تحديد قدراتهن، ينتجن عملاً ذا معنى. ومع التغييرات المجتمعية التي طرأت على دور الرجال، فقد تحاول النساء البحث عن أزواج مستعدين لدعم آمالهن وأحلامهن، وتحمل مسؤولية أكبر تجاه الأطفال، والبيت والمجتمع.

لقد رأينا من خبرات النساء البارزات التي عرضناها في هذا الفصل، أنهن واجهن كثيرًا من القيود والخيارات الشخصية، فتطوير حياة إبداعية منتجة هي أولاً وقبل كل شيء خيار ذاتي معقد. فما قد يعدّه شخص ما عقبة، قد يراه شخص آخر تحدياً، بينما استخدمت أخريات هذا الغضب وتمردن، وأصبحت في النهاية متميزات في المجالات التي اخترنها. وتغري الطرق التي تؤثر فيها العوائق نفسها النساء الموهوبات على إجراء مزيد من البحوث في المسارات الفردية التي يتخذنها لتحقيق أعلى مستويات الانجاز. صحيح أن المعيقات نفسها لا تعترض كل النساء، ولكن دراستي توضح أن العوامل الآتية مجتمعة، التي ترافق مسيرة الحياة، تؤثر في الإنتاجية في مراحل وأعمار مختلفة، وهي: سمات الشخصية، مثل التواضع، والحيرة بخصوص القدرات والمواهب، والخيارات الشخصية المتعلقة بالعائلة، والواجب (إعطاء أولوية لحاجات الآخرين) على حساب الاهتمام بالقضايا الشخصية والدينية والاجتماعية. ولا شك انه لا يوجد حل سحري لهذه التناقضات يمكن أن يرضى الأطراف جميعها، بل إنها يمكن أن تتحول أو تختفي عند حدوث تغيير في حياة المرأة، مثل أن يكبر أطفالها، أو ينتهي زواجها، أو تبدأ علاقة جديدة، أو تغيّر بيتها أو عملها.

وإذا ما أراد مجتمعنا أن ينشط في دعم الفتيات الموهوبات والنساء الراشدات لتحقيق قدراتهن، فيجب تغيير بيئات العمل، كما يجب علينا دعم تنوع الخيارات الحياتية. وقد تبيّن لي من تاريخ النساء اللواتي شملتهن دراستي أنهن كنّ قادرات على الجمع بين العمل وبين الحياة الشخصية المُرضية، كما أن معظمهن حققن نوعًا من الانسجام والتوازن بين مواهبهن وحياتهن الشخصية وواجباتهن تجاه المجتمع. وربما يعود السبب في هذا التوازن إلى أهمية العلاقات، وربما تكون هذه الأولوية ذاتها مهمة أيضا بالنسبة إلى الرجال. ويبدو أن الأمر هكذا فعلاً. ولكن يبدو أن الحواجز والمعيقات أمام النساء ما

زالت موجودة في مجتمعنا حيث تختار النساء الموهوبات الانسحاب عندما يتعبن من مغالبة العمل والعائلة في ما أصبح يسمى بالثورة (Belkin, 2003). وقد كتبت فرجينيا وولف مرة تقول :»علينا أن نذبح الملاك الموجود في البيت والرقيب في داخلنا». إن التعبير عما في داخلهن، وطرح الأسئلة وامتلاك الشجاعة، كلها أشياء ضرورية لانبثاق المواهب النسائية التي لن تظهر في صوت واحد أو تكون نسخة عن مواهب الرجال، بل ستظهر في أصوات ونماذج متعددة.

ومع أنه يستحيل معرفة عدد النساء الموهوبات اللواتي يستعدن حياتهن الماضية بكثير من الأسى بالقول :» ربما كان علي أن .... ولكنني....» ، و «كان باستطاعتي أن .... لو أنني .... « أو «لم يكن لدي ما يكفي من الوقت ل ....». إن مجتمعنا يحتاج إلى مصدر الموهبة أكثر من أي وقت مضى، وقد آن الأوان لنستفيد إلى أقصى حد ممكن من التغيرات التي قد تحدث في البيئة، والأوضاع السياسية، والرعاية الصحية، والتكنولوجيا، والعلوم، والفن، والموسيقى، والمجالات الأخرى، إذا ما أردنا رؤية مزيد من النساء الموهوبات وهن يصبحن قائدات ومنتجات.

المراجع

Ajzenberg-Selove, F. (1994). A matter of choices: Memoirs of a female physicist. Brunswick, NJ: Rutgers University Press.

Antler, J. (1987). Lucy Sprague Mitchell. New Haven: Yale University Press.

Arnold, K. D. (1995). Lives of promise. San Francisco: Jossey-Bass.

Arnold, K. D., & Denny, T. (1985, April). The lives of academic achievers: The career aspiration of male and female high school valedictorians and salutatorians. Paper presented at the annual meeting of the American Educational Research Association, Chicago, IL.

Arnold, K. D., Noble, K. D., & Subotnik, R. F. (1996). Remarkable women: Perspectives on female talent development. Cresskill, NJ: Hampton.

Axelrod, T. (1988). Patently successful. Ms., 16(10), 44–45.

Baer, J. (1997). Gender differences in the effects of anticipated evaluation of creativity. Creativity Research Journal, 10(1), 25–31.

Bateson, M. C. (1990). Composing a life. New York. Plume.

Belkin, L. (2003, October 23). The opt-out revolution. New York Times Magazine, 42–47, 58, 85–86.

Berlin, I. (1953). The hedgehog and the fox. New York: Simon & Schuster.

Burke, R. J. (2001a). Managerial women's career experiences, satisfaction, and wellbeing: A five-country study. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 117–133.

Burke, R. J. (2001b).Women in management: Cross-cultural research. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 3–10.

Burton, L. J. (2002). Talent development in female Olympians:Aphenomenological approach. Unpublished doctoral dissertation: University of Connecticut, Storrs.

Callahan, C. M. (1979). The gifted and talented woman. In A. H. Passow (Ed.), The gifted and talented (pp. 401–423). Chicago: National Society for the Study of Education.

Callahan, C. M., Cunningham, C. M., & Plucker, J. A. (1994). Foundations for the future: The socio-emotional development of gifted, adolescent women. Roeper Review, 17(2), 99–105.

Cattell, J. M. (1903). A statistical study of eminent men. Popular Science Monthly, 62, 359–377.

Dash, J. (1973). A life of one's own: Three gifted women and the men they married. New York: Paragon.

Dash, J. (1988). A life of one's own. New York: Paragon.

Diamond, A. (1986). Guests at the table: Feminists and contracts. Thought and Action, 2, 123–34.

Gabor, A. (1995). Einstein's wife:Work and marriage in the lives of five great twenty-first century women. New York: Viking.

Gilligan, C. (1982). In a different voice: Psychological theory and women's development. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Gruber, H. E. (1986). The self-construction of the extraordinary. In R. J. Sternberg & J. E. Davidson (Eds.), Conceptions of giftedness (pp. 247–260). New York: Cambridge University Press.

Hardwick, J. (1990). An immodest violet. London: Andre Deutsch.

Helson, R. (1996). In search of the creative personality. Creativity Research Journal, 9(4), 295–306.

Hollinger, C. L., & Fleming, E. S. (1988). Gifted and talented young women: Antecedents and correlates of life satisfaction. Gifted Child Quarterly, 32(2), 254–260.

Hutchinson, E. J. (1930).Women and the Ph.D. Greensboro, NC: College forWomen.

Kennedy, C. J., & McConnell, M. (2001). Generally speaking. New York: Warner.

Kerr, B. A. (1985). Smart girls, gifted women. Columbus, OH: Ohio Psychology.

Kirschenbaum, R. J., & Reis, S. M. (1997). Conflicts in creativity: Talented female artists. Creativity Research Journal, 10(2&3), 251–263.

Knights, D., & Richards, W. (2003). Sex discrimination in UK academia. Gender, Work, and Organization, 10(2), 213–238.

Lehman, H. C. (1953). Age and achievement. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Lerner,G. (1993). The creation of feminist consciousness. New York: Oxford University Press.

Lindauer, M. S. (1992). Creativity in aging artists. Creativity Research Journal, 5(3), 211–231.

Linehan, M. (2001). Women international managers: The European experience. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 68–84.

List, K., & Renzulli, J. (1991). Creative women's developmental patterns through age thirty-five. Gifted Education International, 7(3), 114–122.

McLeish, J. A. B. (1976). The Ulyssean adult: Creative in the middle and later years. New York: McGraw-Hill.

Miller, J. B. (1976). Toward a new psychology of women. Boston: Beacon.

Nelson, D. L., & Burke, R. J. (Eds.). (2002). Gender, work stress, and health. Washington, DC: American Psychological Association.

Noble, K., Subotnik, R., & Arnold, K. (1996). A new model for adult female talent development:Asynthesis of perspectives fromremarkable women. In K. Arnold, K. Noble, & R. Subotnik (Eds.), Remarkable women: Perspectives on female talent development. Cresskill, NJ: Hampton.

Ochse, R. (1991). Why there were relatively few eminent women creators. Journal of Creative Behavior, 25(4), 334–343.

O'Connell, A. N., & Russo, N. F. (1983). Models of achievement: Reflections of eminent women in psychology. New York: Columbia University Press.

Oden, M. H. (1968). The fulfillment of promise. Genetic Psychology Monographs, 77(1), 3–93.

O'Donovan-Polter, S. (2001). The scales of success: Constructions of life-career success of eminentmenandwomenlawyers.Toronto, Canada: University of Toronto Press.

Omar, A., & Davidson, M. J. (2001).Women in management: A comparative crosscultural overview. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 35–67.

Oppenheimer, J. (1988). Private demons: The life of Shirley Jackson. New York: Ballantine.

Piirto, J. (1991). Why are there so few? (creative women: visual artists, mathematicians, musicians). Roeper Review, 13(3), 142–147.

Reis, S. M. (1987). We can't change what we don't recognize: Understanding the special needs of gifted females. Gifted Child Quarterly, 31, 83–88.

Reis, S. M. (1995). Talent ignored, talent diverted: The cultural context underlying giftedness in females. Gifted Child Quarterly, 39, 162–170.

Reis, S. M. (1996). Older women's reflections on eminence: Obstacles and opportunities. In K. D. Arnold, K. D. Noble, & R. F. Subotnik (Eds.), Remarkable women: Perspectives on female talent development (pp. 149–168). Cresskill, NJ: Hampton.

Reis, S. M. (1998). Work left undone. Mansfield Center, CT: Creative Learning Press.

Reis, S. M. (2001). External barriers experienced by gifted and talented girls and women. Gifted Child Today, 24(4), 26–35, 65.

Reis, S. M. (2002a). Internal barriers, personal issues, and decisions faced by gifted and talented females. Gifted Child Today, 25(1), 14–28.

Reis, S. M. (2002b). Toward a theory of creativity in diverse creative women.

Creativity Research Journal, 14(3–4), 305–316.

Reis, S. M.,Hébert, T. P., Diaz, E. I., Maxfield, L. R.,&Ratley,M. E. (1995). Case studies of talented students who achieve and underachieve in an urban high school (Research Monograph 95114). Storrs, CT: University of Connecticut, The National Research Center for the Gifted and Talented.

Renzulli, J. S. (1978). What makes giftedness? Re-examining a definition. Phi Delta Kappan, 60, 180–184, 261.

Renzulli, J. S. (1986). The three-ring conception of giftedness: A developmental model for creative productivity. In R. J. Sternberg & J. E. Davidson (Eds.), Conceptions of giftedness (pp. 53–92). New York: Cambridge University Press.

Renzulli, J. S. (1991). The national research center on the gifted and talented: The dream, the design, and the destination. Gifted Child Quarterly, 35(2), 73–80.

Renzulli, J. S., & Reis, S. M. (1985). The schoolwide enrichment model: A comprehensive plan for educational excellence. Mansfield Center, CT: Creative Learning Press.

Renzulli, J. S., & Reis, S. M. (1997). The schoolwide enrichment model: A how-to guide for educational excellence. Mansfield Center, CT: Creative Learning Press.

Rimm, S., Rimm-Kaufman, S., & Rimm, I. (1999). See Jane win. New York: Crown.

Roberts, T. (1991). Gender and the influence of evaluations on self-assessments in achievement settings. Psychological Bulletin, 109(2), 297–308.

Roberts, T., & Nolen-Hoeksema, S. (1994). Gender comparisons in responsiveness to others' evaluations in achievement settings. Psychology ofWomen Quarterly, 18, 221–240.

Roscher, N. (1987). Chemistry's creative women. Journal of Chemical Education, 56(4), 748–752.

Schneidman, E. (1989). The Indian summer of life: A preliminary study of septuagenarians. American Psychologist, 44, 684–694.

Sears, R. (1977). Sources of satisfactions of Terman's gifted men. American Psychologist, 32, 119–128.

Simonton, D. K. (1975). Sociocultural context of individual creativity: A transhistorical time-series analysis. Journal of Personality and Social Psychology, 32, 1119–1133.

Simonton, D. K. (1977). Creative productivity, age, and stress: A biographical timeseries analysis of 10 classical composers. Journal of Personality and Social Psychology, 35, 791–804.

Simonton, D. K. (1984). Artistic creativity and interpersonal relations across and within generations. Journal of Personality and Social Psychology, 46, 1273–1286.

Simonton, D. K. (1988). Age and outstanding achievement: What do we know after a century of research? Psychological Bulletin, 104, 251–267.

Simonton, D. K. (1989). The swan-song phenomenon: Last-work effects for 172 classical composers. Psychology and Aging, 4, 42–47.

Sternberg, R. J. (1985). Beyond IQ: A triarchic theory of human intelligence. New York: Cambridge University Press.

Sternberg, R. J. (1986). A triarchic theory of intellectual giftedness. In R. J. Sternberg & J. E. Davidson (Eds.), Conceptions of giftedness (pp. 233–243). New York: Cambridge University Press.

Sternberg, R. J. (1999). The theory of successful intelligence. Review of General Psychology, 3, 292–316.

Sternberg, R. J., & Davidson, J. E. (Eds.). (1986). Conceptions of giftedness. New York: Cambridge University Press.

Sternberg, R. J., & Gregorenko, E. L. (2002). The theory of successful intelligence as a basis for gifted education. Gifted Child Quarterly, 46(4), 265–277.

Subotnik, R., & Arnold, K. (1995). Passing through the gates: Career establishment of talented women scientists. Roeper Review, 13(3), 55–61.

Tannenbaum, A. J. (1983). Gifted children: Psychological and educational perspectives. New York: Macmillan.

Tannenbaum, A. J. (1991). The social psychology of giftedness. In N. Colangelo & G. A. Davis (Eds.), Handbook of gifted education (pp. 27–44). Boston: Allyn&Bacon.

Vance, C. M.,&Paik, Y. (2001). Where do American women face their biggest obstacle to expatriate success? Back in their own backyard. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 98–116.

Varma, A.,&Stroh, L. K. (2001). Different perspectives on selection for international assignments: The impact of LMX and gender. Cross-Cultural Management, 8(3/4), 85–97.

Wallace, T., &Walberg, H. (1995). Girls who became famous literalists of the imagination. Roeper Review, 13(3), 24–27.

Wasserman, E. (2000). The door in the dream: Conversations with eminent women in science. Washington, DC: Joseph Henry.

Winstone, H. V. F. (1978). Gertrude Bell. New York: Quartet.

Woolf, V. (1957). A room of one's own. New York: Harcourt Brace.